*النهي عن الخوض في الصحابة والطعن فيهم*

*بحث فى دفاع عن القراَن*

*إعداد أ/ شيماء عبد المجيد محمد زهران*

*قسم التفسير وعلوم القراَن*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم – ماليزيا*

*shaimaa.abdelmajeed@mediu.edu.my*

**خلاصة ـــ هذا البحث يبحث في النهي عن الخوض في الصحابة والطعن فيهم**

**الكلمات المفتاحية : الفتنة ، أصحاب ، الأخبار**

1. **المقدمة**

**الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، سوف نتحدث في هذا المقال عن النهي عن الخوض في الصحابة والطعن فيهم**

1. **عنوان المقال**

**يا ويل من تعرض للصحابة بسوء، وأوقد نار الفتنة وجرأ السفهاء والغوغاء على الوقيعة في الصحابة }، وقد قال النبي : ((لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه)).**

**وكان سيدنا ابن عمر { يقول: "لا تسبوا أصحاب محمد ، فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره".**

**وقد أنكر الإمام أحمد -رحمه الله- على من جمع الأخبار، التي فيها طعن على بعض أصحاب رسول الله ، وغضب لذلك غضبًا شديدًا، وقال: لو لكان هذا في أثناء الناس لأنكرته، أي: لو كان هذا في عوام الناس لأنكرته، فكيف في أصحاب رسول الله .**

**قال الإمام مالك -رحمه الله- في الذين يقدحون في الصحابة، إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي ، فلم يمكنهم ذلك فقدحوا في أصحابه، حتى يقال: رجل سوء ولو كان رجلًا صالحًا لكان أصحابه صالحين، وهذا القول من الإمام مالك -رحمه الله- منطلق من نظرته البعيدة إلى أبعاد الخبر، فليس الأمر قدحًا في الصحابة فقط، بل إن هذا يجر إلى ما هو أخطر، وبهذا المنظار انطلق شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عندما قال: "الطعن فيهم -أي الطعن في الصحابة- طعن في الدين".**

**وقد أكد الإمام أبو زرعة -رحمه الله- على هذا التصور بقوله: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله  فاعلم أنه زنديق وذلك أن الرسول  عندنا حق والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله  وإنما يريدون -أي المنتقصين- إنما يريدون أن يجرحوا شهودنا؛ ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة.**

**والمنقول عن أهل العلم في هذا الباب كثير، إلا أن الباحث تتملكه الدهشة، ويأسره الإعجاب عندما يقف على رد فعل الصحابة } تجاه الطعن فيهم، حيث إن لهم فهمًا ساميًّا، وحسابات عجيبة يفصح عنها الأثر التالي:**

**فعن رزين عن جابر بن عبد الله { قال: قيل لعائشة <: إن ناسًا يتناولون أصحاب النبي  حتى أبا بكر وعمر، فقالت: وما تعجبون من هذا؟ انقطع عنهم العمل فأحب الله ألا ينقطع عنهم الأجر.**

**لله درك يا أم المؤمنين مقاييس سامية تدل على أن أصحابها ليسو بشرًا عاديين، ولم العجب أليسوا خير البشر بعد الأنبياء والمرسلين، ولكن إذا وقف الباحث مع بعض المرويات التي تشتمل على طعن في الصحابة، فكيف يكون موقفه من هذه المرويات؟ هذا ما سوف أبينه فيما يلي بحول الله وقوته، فالله المستعان.**

**رد عام على المرويات التي تشتمل على طعن في الصحابة:**

**ما عليه عامة أهل السنة والجماعة أنه لا عصمة لأحد من الصحابة، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولكن لهم من السبق في الإسلام والجهاد مع رسول الله ، ونشر العلم وتبليغه وطمس معالم الشرك، وإذلال أهله والذب عن الحرمات بنفس زكية، وروح عالية ما يكفر الله به سيئاتهم ويرفع درجاتهم.**

**أما ما جاء من الآثار المروية في مساوئهم فهي على ثلاث مراتب:**

**المرتبة الأولى: ما هو كذب محض لا يروى، ولا يعرف إلا من رواية لوط بن يحيى الرافضي الكذاب، أو سيف بن عمر التميمي وهو ليس بشيء عند أهل الحديث، أو الواقدي المتروك أو غيرهم ممن لا يعتمد عليهم ولا على مروياتهم، وهم عمدة خصوم الصحابة } في نقل المثالب والوقائع الملفقة، ولم يكن أهل الحديث ونقاده، وجهابذة الجرح والتعديل يعتمدون على واحد منهم لعدم ضبطهم، ولكثرة كذبهم.**

**المرتبة الثانية: ما صح سنده وله محمل حسن، فيجب حمله عليه إحسانًا للظن بهم، فهم أحق الناس بهذا وأولاهم بحمل ألفاظهم وأفعالهم على أحسن مقصد، وعلى أنبل عمل. ومن أبت نفسه الخير، وحرم سلامة القصد، وجعل من المحتمل زلة، ومن الظن جرحًا فقد عظم ظلمه، وغلب جهله وناله من الحرمان ما نال أمثاله من مرضى القلوب.**

**المرتبة الثالثة: ما صدر عن محض الاجتهاد والشبهة والتأويل، كالوقائع التي كانت بينهم وغيرها من الأمور القولية والفعلية، فهذه أمور واردة عن اجتهاد وتأويل، فللمصيب فيها أجران وللمخطئ أجر واحد والخطأ مغفور.**

**فعن عمر بن العاص > أنه سمع رسول الله  يقول: ((إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصحاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر))، فمن أفتى أو حكم أو قضى، أو قال بخلاف الحق لشبهة قامت عنده، أو سنة لم تبلغه أو تأويل له وجهه، فإنه يثاب على هذا الاجتهاد.**

**وهذا الأصل مما اتفق عليه أهل السنة والجماعة، ولا أحسب أحدًا ينقب عن عثرات الصحابة، ويبحث لهم عن الزلات المبنية على الشبهات الواهية، إلا وقد رخص عليه دينه، وقد قرر ذلك الإمام أحمد -رحمه الله- حيث قال: إذا رأيت أحدًا يذكر أصحاب رسول الله  بسوء فاتهمه على الإسلام.**

**والمفترض ممن يدعي الإسلام والسنة محبة الصحابة ونصرتهم، والذب عنهم ونشر فضائلهم ومحاسنهم، والكف عن مساوئهم، والرد على أعدائهم من أعداء الملة وأتباع الشيطان.**

**ونختم بما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في هذا الصدد حيث قال: "من زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله  إلا نفرًا قليلًا أو أنهم فسقوا، فهذا لا ريب أيضًا في كفره، فإنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضا عنهم، والثناء عليهم بل من يشك في كفر مثل هذا، فإن كفره متعين فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق، وأن هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس وخيرها، وهو القرن الأول كان عامتهم كفارًا أو فساقًا.**

**ومضمون هذه المقالة أن هذه الأمة شر الأمم، وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها، وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام، ولهذا تجد عامة من ظهر عنه شيء من هذه الأقوال، فإنه يتبين أنه زنديق وعامة الزنادقة إنما يستترون بمذهبهم، وقد ظهرت لله فيهم مثلات. بعد نقل كلام شيخ الإسلام -رحمه الله- أبين خلاصة لما سبق من الكلام، فأقول:**

**لا بد أن نعتقد في أصحاب رسول الله  أمرين اثنين:**

**أولًا: أن أصحاب النبي  هم خير البشر بعد الأنبياء، وذلك بدلالة الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.**

**ثانيًا: لا بد أن نعلم أن أصحاب رسول الله  غير معصومين، ونعتقد كذلك أن إجماعهم معصوم؛ لأن النبي  ((أخبر أن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة)) لحديث: ((إن الله تعالى قد أجار أمتي من أن تجتمع على ضلالة)) فهم معصومون من أن يجتمعوا على ضلالة، ولكنهم كأفراد غير معصومين.**

**وأختم الكلام على عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة، وأختم الكلام كذلك على ما سبقها من بيان عقيدة الشيعة الإمامية في الصحابة، أختم بهذه الفقرة المعنون لها بعنوان "أفلا يعقلون":**

**وبها فاز الصحابة } وسبقوا غيرهم، نعم إنه التلازم بين الرسول ، وأصحابه الكرام الذين عاش بينهم ومعهم يفرح الرسول  بالجلوس معهم، ويأنس بهم وهم جنده ووزراؤه، وطلابه الذين أخذوا العلم عنه.**

**نعم إن الذين يحبون الرسول  وبه يقتدون، يعتقدون بأن الرسول أدى الأمانة وبلغ الرسالة، وقام بما أمره الله به، ومن ذلك أنه بلغ أصحاب العلم وزكاهم، وهم الذين أخذوا القرآن والسنة من رسول الله  مباشرة، وعنهم أخذ التابعون والحكم بعدالتهم من الدين، ومن الشهادة بأن الرسول قد قام بما أمره الله به.**

**والطعن فيهم يعني الطعن في إمامهم وقائدهم ومعلمهم  أرأيتم لو أن رئيسًا أو رمزًا لبلد قد جاء من أتباعه من يزعم بأن هذا الزعيم قد أحاط به ناس من الانتهازيين والخونة، وهؤلاء الخونة هم أقرب الناس لهم، وهم خاصته وأهل مشورته، وبينه وبينهم نسب وصهر ورحم، وهم الذين حملوا فكره ونشروه.**

**ماذا نقول في عالم بذل كل جهده وعلمه في تعليم طلابه، الذين صحبوه وعاشوا معه في السراء والضراء، وتركوا الأهل والوطن والمال لأجل صحبته وملازمته، والأخذ عنه والتأسي به؟ ثم جاء الجيل الذي بعدهم وطعن في هؤلاء الطلاب، ماذا نقول في العالم الذي أخذوا عنه العلم، وبما يوصف من هؤلاء طلابه؟ هل العيب فيه أم العيب في الطلاب الذين تركوا أولادهم وأموالهم وديارهم لأجل صحبة المعلم، والأخذ عنه والتأسي به، أم العيب في الناقل الذي طعن في هؤلاء الطلاب، ولم يدر بخلده أن الطعن يشمل المعلم؟**

**تأمل إمام أهل التربية والتوجيه  وهو مع صحابته الذين عاشوا معه على السراء والضراء والحرب والسلم والرخاء والشدة، وعصفت معه بهم المحن، حتى بلغت القلوب الحناجر، وهم معه لم يتخلوا عنه ولم يتركوه، أخذوا أقواله من فمه مباشرة، وعاشوا الدقائق والثواني بكنفه، لم يفرطوا في مجالسه بل يتسابقون إلى فضلة وضوئه.**

**وتولى المربي  تولى بنفسه توجيههم وتربيتهم، ينبه المخطئ إذا أخطأ، ويشكر المحسن إذا أحسن استفرغ جهده ووقته في تربتيهم، ولم يترك شيئًا فيه مصلحتهم إلا فعله وحثهم عليه، ولم يترك شيئًا فيه مضرة إلا حذرهم منه، هم بأمره يعملون وبه يقتدون، يشاهدون تصرفاته وأفعاله، ويسمعون أقواله وتوجيهاته.**

**أخذوا من المنبع الصافي من غير واسطة ولا كدر، فهل يعقل بعد ذلك وصف هؤلاء بأنهم نكصوا على أعقابهم إلا النادر منهم، أي أن الغالبية لم تنتفع بالتربية والتوجيه، وكل ذلك الجهد ذهب سدى.**

**قل لي بربك هل العيب في الإمام المربي، أم في الذين أخذوا عنه، أم العيب في الناقد الطاعن؟ تأمل في سيرة النبي  مع من قضاها من هم طلابه الذين أخذوا العلم عنه؟ من هم جنده الذين حارب بهم أعداءه؟ من هم جلساؤه الذين كان يشاورهم؟ من هم الذين كان يأكل معهم ويشرب؟**

**من هم الذين كان يأنس بهم؟ من هم الذين كانوا يفرحون معه؟ من هم الذين يصلون خلفه ويستمعون مواعظه وخطبه؟ من هم الذين يزورهم ويزورونه؟ من هم الذين ينفقون أموالهم بين يديه؟ من هم الذين يبذلون أرواحهم رخيصة بين يديه؟ من هم الذين نقلوا القرآن عنه؟ من هم الذين تحملوا الرسالة وبلغوها عنه؟ هل يعقل الطعن فيهم بعد كل ذلك، فالحمد لله الذي من علينا بحبهم والحمد لله الذين من علينا ببغض من يبغضهم.**

**وأختم هذا المقام بالإقرار بأنني أحب رسول الله  وأحب أبا بكر وعمر وعثمان وعليًّا والحسن والحسين، وأمهما فاطمة < وأمهات المؤمنين وسائر الصحابة } وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم وبعد.**

**المصادر والمراجع**

1. **السيوطي، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الإتقان في علوم القرآن) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م**
2. **الزركشي، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (البرهان في علوم القرآن) ، بيروت، نشر دار المعرفة، 2001م**
3. **الدجوي، يوسف أحمد نصر الدجوي، (الجواب المنيف في الرد على مدعي التحريف) ، القاهرة، مطبعة القاهرة، 1969م**
4. **الجزيري، محمد شوقي عبد الرحمن الجزيري، (أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين والملحدين) ،دار الإرشاد للطباعة والنشر، 1416هـ**
5. **أبي داود، ابن أبي داود، تحقيق: محب الدين واعظ، (المصاحف) ، دار البشائر الإسلامية، 2002م**
6. **الباقلاني، القاضي أبي بكر محمد الباقلاني، (نكت الانتصار لنقل القرآن) ، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1971م**
7. **الزرقاني، محمد عبد العظيم الزرقاني، (مناهل العرفان في علوم القرآن) ، بيروت، دار الفكر، 1996م**
8. **أبو شهبة، محمد بن محمد أبو شهبة، (المدخل لدراسة القرآن الكريم) ، الرياض، نشر دار اللواء، 1987م**
9. **بن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم، (الفصل في الملل والأهواء والنحل) ، بيروت، دار الجيل،1405هـ**
10. **أبو زهرة، محمد أبو زهرة، (المعجزة الكبرى القرآن) ، دار طيب للنشر، 2003م**
11. **مزروعة، حاتم محمد منصور مزروعة، (دعاوى تحريف القرآن الكريم) ، طبعة جامعة الأزهر، 2007م**
12. **الباقلاني، أبو بكر بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين حيدر، (إعجاز القرآن) ، مؤسسة الكتب الثقافية، 1991م**